﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ۝٤٩ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ۝٥٠﴾ [النِّساء: 49 - 50]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُما:

النَّهي عن مدح النَّفس بعد إنكار اليهود مُشابهتهم لأهل الذَّمِّ من المشركين

لَمَّا هدَّد اللهُ ﷻ اليهودَ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النِّساء: 48]؛ فعند هذا قالوا: لَسْنَا من المُشْرِكينَ، بل نحن خَوَاصُّ اللهِ تعالى، كما حَكَى تَعالى عَنْهُمْ أنَّهم قالوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ [المائدة: 18]، وبعضُهم كانوا يقولون: (إنَّ آباءَنا كانوا أنبياءَ، فيشفَعون لنا)، فبالَغوا في تزكيةِ أنفسِهم، فَذَكَرَ تعالى في هذه الآيةِ أنَّه لا عِبْرَةَ بتزكيةِ الإنسان نَفْسَهُ، وإنَّما العبرةُ بتزكيةِ اللهِ له[1]. وَلَمَّا أخبَر تعالى أنَّ التَّزكيةَ إنَّما هِيَ إليه بما له مِن العَظَمَةِ والعِلمِ الشَّاملِ، وكان ذلك أَمْرًا لا نزاعَ فيه، وشَهِدَ عليهم بالضَّلالِ؛ زاد في تَوْبِيخِهِمْ؛ مُعَجِّبًا لرسولِه ﷺ من وقَاحتِهم واجْترائِهِمْ على مَنْ يَعْلَمُ كَذِبَهُمْ، ويقدِرُ على معاجلتهم بالعذاب[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ﴾: أي: يَمدحُونها، ويُثنون عليها، وزكَّى نَفْسَهُ: مَدَحَها، ونَسَبَهَا إلى الزَّكاء، مِن: زكَّى يُزَكِّي تَزْكيةً، وأَصْلُ الزَّكاةِ: النَّماءُ والطَّهارة، والمَعْنى هُنا: يَمْدَحونَ أَنْفُسَهُمْ، وهو وَصْفٌ مَذْمُومٌ؛ لأنَّ مدح الإنسان نَفْسَهُ قَبيحٌ شَرْعًا وعَقْلًا[3].

(1) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/99.
(2) البِقاعيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 5/299.
(3) الرَّاغِب، المُفْرَدات، وابْنُ مَنْظور، لِسانُ العَرَب، والسَّمين، عُمْدَةُ الحُفَّاظ: (زكا)، وابْنُ فارِس، مَقاييسُ اللُّغَة: (زكى)، والزَّبيديّ، تاجُ العَروس: (زكو)، وابْنُ قُتَيْبَة، غَريبُ القُرْآن، ص: 31، والشِّنْقيطيّ، أضواء البيان: 8/542.

2) ﴿فَتِيلًا﴾: الفَتيل: القِشرةُ الَّتي في بطن النَّواةِ، وسُمِّي ما يكونُ في شَقِّ النَّواة فَتيلًا؛ لكونه على هيئَتِه، وقيلَ: الفَتيلُ: ما يُفتَلُ بالإصبعِ مِن الوسَخِ الَّذي يَخْرُجُ منه، وهو فَعيلٌ، بمعنى: مَفْعُولٌ، يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ في القِلَّةِ والنَّزَارَةِ، وأَصْلُ فَتَلَ: يَدُلُّ على لَيِّ شَيْءٍ[1]، ومَعْنَى ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾، أي: قَدْرَ ذلك من الصِّغر، والقلّة.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ألم تَعْلَمْ - أيها الرسول ﷺ - أَمْرَ أولئِكَ الذين يُثْنُونَ ثَناءَ تزكية على أنفسهم وأعمالهم، ويَصِفونَها بالطُّهْرِ والبُعْدِ عن السُّوءِ؟ بل اللهُ وَحْدَهُ هو الَّذي يُثْني على من شاء من عباده ويُزَكِّيهِمْ؛ لأَنَّهُ عَالِمٌ بِخَفايا القُلوبِ، ولن يُنْقَصوا شَيْئًا من ثوابِ أَعْمَالِهِمْ؛ ولو كان قَدْرَ الخَيْطِ الَّذي في نواة التَّمْرِ؛ انْظُرْ - أيها الرسول ﷺ - كيف يَخْتَلِقونَ على اللهِ الكَذِبَ بهذا وأَمْثالِهِ، وكَفَى بهذا الاختلاقِ ذَنْبًا واضِحًا يَكْشِفُ عن خَبيثِ طَوِيَّتِهِمْ[2].

التَّعجيب من حال اليهود في مدحهم لأنفسهم مع كونهم من أكذب النَّاس وأكثرهم افتراءً على الله

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الاستفهام الدَّاخل على حرف النَّفي:

التَّزكية في هذا الموضع عِبارَةٌ عن مدح الإنسان نَفْسَهُ، ومنه تزكية المعدِّل للشَّاهِدِ، فقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النَّجم: 32]، وقد نُهِي عن التّزكية بما لم يؤتِ المزكِّي العلم به؛ لِأَنَّ التَّزكية مُتَعَلِّقَةٌ بِالتَّقْوى، والتَّقوى صِفَةٌ في الباطِنِ، وَلَا يَعْلَمُ حَقِيقَتَها إِلَّا اللهُ، فَلَا جَرَمَ لَا تَصْلُحُ التَّزْكِيَةُ إِلَّا مِنَ اللهِ؛ فَلِهَذَا قَالَ تَعَالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[3].

في الاستفهام تقريرٌ للرُّؤْيَةِ والتَّعَجُّبُ مِنْ هذا الخُلُقِ، والتَّنْفيرُ منه

(1) ابْنُ عَبّاد، المُحيطُ في اللُّغَة، والرَّاغِب، المُفْرَدات، والسَّمين، عُمْدَةُ الحُفَّاظ، وابْنُ فارِس، مَقاييسُ اللُّغَة: (فتل)، وابْنُ قُتَيْبَة، غَريبُ القُرْآن، ص: 259، وابْنُ الهائِم، التِّبْيان، ص: 140.

(2) لَجْنَةٌ مِنْ عُلَماءِ الأَزْهَر، المُنْتَخَبُ في تَفْسيرِ القُرآنِ الكَريم، ص: 117، ونُخْبَةٌ مِنْ أَساتِذَةِ التَّفْسير، التَّفْسيرُ المُيَسَّر، ص: 86، وجَماعَةٌ مِنْ عُلَماءِ التَّفْسير، المُخْتَصَرُ في تَفْسيرِ القُرْآنِ الكَريم، ص: 86.

(3) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/100.

وقَدْ دَخَلَ (أَهْلُ الكتاب) في زمرة مَنْ يُزَكُّونَ أَنفسهم دُخولًا مَنْطِقيًّا؛ لِمَا عُرِفَ عَنْهُمْ مِنْ تَأَصُّلِ هَذِهِ الخَصْلَةِ الذَّميمَةِ فِيهِمْ، ثُمَّ يَنْسَحِبُ الحُكْمُ على كلِّ مَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ، وقدِ امْتَزَجَتْ فيه معانٍ بلاغيَّةٌ كَثيرةٌ، مِنْ أَهَمِّهَا: التَّقْريرُ للرُّؤْيَةِ والتَّعَجُّبُ من خبرها والتَّنْفيرُ مِنْ هذا الخُلُقِ، وهذا مِنْ قَبيلِ الافْتِراءِ، فَهُوَ - أيضًا - مُقَرِّرٌ لِما قَبْلَهُ؛ ولذا لَمْ يُعْطَفْ[1].

مديدُ مخازي أهل الكتاب جَعَلَهُم أَحِقَّاءُ بِأَنْ يَكُونوا عِبْرَةً لِمَنْ يَعْتَبِرْ

ومن معاني الاسْتِفهام هنا: التَّقرير المُوصِلُ إلى التَّعَجُّبِ؛ حَيْثُ دَخَلَ حرفُ الاستفهام على النَّفي (لَمْ)، وبهذا تكون الإجابة بالإثبات في هذا المَقام، أي: بَلَى رَأَيْتُ، والخطابُ لكلِّ من تتَأَتَّى منه الرُّؤيَةُ من المؤمنين[2]. وغرضُهُ مع التَّقرير: التَّعجُّبُ من حال أهل الكتاب الَّتي بلغت درجة كبيرة من الشَّناعة[3]، فما هذا التَّكرار إلَّا لِأَنَّ أهل الكتاب اُشْتُهِرُوا بِهذِهِ المَخازي، فَصارَت حِكَاياتٍ تُروى عَنْهُمْ، وهُمْ أَحِقَّاءُ بِأَنْ يَكُونوا عِبْرَةً لِمَنْ يَعْتَبِرْ.

سِرُّ الإضراب بعد الاستفهام:

إبطال تزكيتهم لأنفسهم، وإثبات التَّزكية لله وَحْدَهُ وتأكيدها

كانت الحاجة في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾، إلى إلغاء زَعْمِهِم الباطل بحرف الإضراب الابتدائيِّ،[4] والجملة عَطْفٌ على مُقَدَّر يَنْساقُ إليه الكلام، كأنَّه قيل: هم لا يزكُّونها في الحقيقة، بل اللّه يُزكِّي من يشاء تزكِيَتَهُ مِنْ يَسْتَحِقُّ من عبادِهِ المؤمنين؛ إذْ هُوَ العَليمُ الخبير[5]، وهي جملة خبريَّة تحمل أقوى المُؤكِّدات مع اسميَّتها ووقوع المبتدأ اسم الجلالة، والإخبار عنها بجملة فعليَّة، فِعْلُها يُفيد الاستمرار؛ لذا

(1) القونويّ، حاشيةُ القونويِّ على البَيْضاويّ: 7/192.
(2) أبو السُّعود، إرْشادُ العَقْلِ السَّليم: 1/526.
(3) تفسير أبي السُّعود، إرْشادُ العَقْلِ السَّليم: 1/526، وابنُ عاشور، التَّحْريرُ والتَّنْوير: 5/79.
(4) صافي، الجدول: 4/358.
(5) الآلوسّي، روحُ المعاني: 5/54.

كان الفَصْلُ لكمال الانقطاع الشَّكْلِيِّ رغم قوَّة الاتِّصال المعنويِّ؛ إذ نسبوا تزكيتهم أنفسهم إليه، بزعمهم أنَّهم شعب الله المختار، وأبناء الله وأحبَّاؤه، وكلُّ ذلك سوء فهم محض، وكذب لا يستحقُّ غير النَّقض والرَّفض.

فَفِي تصدير الجملةِ بـ﴿بَلِ﴾ تصريحٌ بإبطالِ تزكيتهم، وأنَّ الَّذين زكَّوْا أنفسَهم لا حظَّ لهم في تزكيةِ الله، وأنَّهم ليسوا ممَّن يشاءُ اللهُ تزكيتَه، ولو لم يذكر ﴿بَلِ﴾، فقيل: (واللهُ يُزكِّي مَن يَشاء)؛ لكان لهم مطمَعٌ أنْ يكونوا ممَّن زكَّاه الله تعالى[1]، وهذا الختم والتَّعقيب يقتضي الغَضَّ من المُزَكِّي لنفسه بِلِسانِه، ولوْ لمْ يكن من ذنبه ولا عيْبه غير اتِّباعه سنن اليهود في تزكية النَّفس؛ لكان بحسْبه من الشَّرِّ ذلك، فإنَّه لا شرَّ وراءه، ولا سوء فوقه، والإعلام بأنَّ الزَّاكِي المُزَكَّى من حَسُنَتْ أفعاله، وزكَّاه الله ﷻ فلا عبرة بتزكية الإنسان نَفْسَهُ، وإنَّما العِبْرَةُ بتزكية الله له[2].

فائدة الكناية عن الموصوف[3]:

في الكناية بيانٌ لكمال عدل الله مع عباده، وتَنْزيهُهُ عن أَدْنى ظُلْمٍ

جُملة ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ عَطْفٌ على جملة حُذِفَتْ تَعويلًا على دلالة الحال عليها، وإيذانًا بأنَّها غَنِيَّةٌ عن الذِّكر، أَيْ: يُعاقَبُونَ بِتِلْكَ الفِعْلَةِ الشَّنيعة، ولا يُظْلَمُونَ في ذلك العقاب أَدْنى ظُلْمٍ وأَصْغَرَهُ، وهو المُراد بالفَتيلِ[4].

وسُمِّيَ ما يكون في شقِّ النَّواةِ فتيلًا؛ لِكَوْنِه على هيئة الحَبْلِ المفتول، أو ما يفتله أحدهم بين إصبعيه من وسخ، ويُضرب به المثل في الشَّيءِ الحقير[5]، وذُكِرَ هُنَا كنايةً عن الشَّيء الحقير أو الصَّغير.

(1) ابْنُ عاشور، التَّحْريرُ والتَّنْوير: 5/84.

(2) القُرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 5/246، وأبو حيّان، البحر المحيط: 3/281.

(3) وفيها تُذْكَرُ الصِّفة والنِّسْبَة، ولا يُذْكر الموصوف، بل يتوصَّل إليه بالصِّفة المذكورة، لأنَّها من خَصائِصِه، ينظر: القزوينيّ، الإيضاح، ص: 289.

(4) الآلوسّي، روحُ المعاني: 5/54.

(5) القُرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 5/248، والرّاغِب، المُفْرَدات، والسَّمين، عُمْدَةُ الحُفّاظ: (فتل).

في لفظ الفتيل وجه استعارة للقلّة التي لا ينتفع بها

ويكون التَّعبير بلَفْظِ الفتيل - أيضًا - من قبيل الاستعارة، فَقَد شَاعَ اسْتِعَارَتُهُ لِلْقِلَّةِ؛ إِذْ هُوَ لَا يُنْتَفَعُ بِهِ، وَلَا لَهُ مَرْأًى وَاضِحٌ، وَانْتَصَبَ فَتِيلًا عَلَى النِّيَابَةِ عَنِ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ؛ لِأَنَّهُ عَلَى مَعْنَى التَّشْبِيهِ؛ إِذِ التَّقْدِيرُ: ظُلْمًا كَالْفَتِيلِ، أَيْ: بِقَدْرِهِ، فَحُذِفَتْ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ [النِّساء: 40][1].

وهذا كُلُّه يَرْجِعُ إلى الكناية عن تحقير الشَّيءِ وتصغيره، وفيه دلالة حِسِّيَّةٌ على أنَّ الله ﷻ لا يَظْلِمُ النَّاس فَتيلًا، ولا شيئًا دُونَهُ في الصِّغر، فكيف بما فَوْقَهُ[2]؟

ومِثْلُ هذا في تصغير الشَّيء قوله تعالى: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرًا ١٢٤﴾ [النِّساء: 124]، والنَّقير: هو النُّقطة الَّتي في ظهر النَّواة، وأيضًا القِطْميرُ المذكور في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ [فاطر: 13]، وهو القِشْرَةُ الرَّقيقة على النَّواة، وهذه الأشياء كُلُّها تُضْرَبُ أمثالًا للشَّيءِ التَّافِهِ الحَقيرِ[3].

سِرُّ الفصل بَيْنَ الجُمَلِ:

تأكيد التَّعَجُّبِ من حال اليهود في مَذْهَبِهِمْ أَنْفُسِهِمْ، والإستنكارُ لادِّعائهم الباطل في ذلك

في قَوْلِهِ تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ تأكيدٌ مَعْنَويٌّ للتَّعْجيبِ الدَّالِّ عليه الكلام في الآية السَّابقة[4]، وهو من قَبيلِ كَمالِ الاتِّصالِ[5]، فالآيتان تَحْمِلانِ غَرضًا بيانيًّا واحدًا، هو شِدَّة التَّعَجُّبِ من حال اليهود الَّذين قالوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ [المائدة: 18]، وقالوا كذلك: ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [البقرة: 111]، ونحو ذلك، فالآية الثَّانية تَحْمِلُ مَعْنى الأُولى - من حيثُ إنَّها تأكيدٌ على التَّعَجُّبِ والاستنكار لادِّعائهم الباطل، وفيها تعجيب للنَّبيِّ ﷺ

(1) ابْنُ عاشور، التَّحريرُ والتَّنْوير: 5/84 - 85.
(2) ابْنُ عَطيَّة، المُحَرَّرُ الوَجيز: 2/66.
(3) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/102.
(4) الآلوسّي، روحُ المعاني: 5/55.
(5) ويعْنونَ بهذا الاصْطِلاحِ أَنْ تكون الثَّانية مُتَّصِلَةً بالأولى اتِّصالاً كامِلاً تامًّا في المعنى، وتَنْدَرِجُ تَحْتَهُ صوَرٌ مُتَعدِّدة، ينظر: عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص: 405.

من فريتهم على الله، وهِيَ تزكيتُهم أنفسَهم وافتراؤهم على الله[1] - ففي الآيَتَيْنِ تَحذيرٌ من إعجاب المَرْءِ بِنَفْسِهِ وبِعَمَلِهِ.

دلالة الأمر بعد الإخبار عن سُوءِ مقالهم:

تَشْديدُ التَّشْنيع على اليهود، وتأكيدُ التَّعجيب من حالهم ومقالهم

الأَمْرُ في ﴿ٱنظُرْ﴾ موجّهٌ إلى رسُول الله ﷺ وعلى كلِّ واقف على الآية الكريمة من بعده، فجعل افتراءَهم الكَذِبَ؛ لِشِدَّةِ تَحَقُّقِ وُقوعِهِ، كَأَنَّهُ أَمْرٌ مَرئيٌّ يَنْظُره النَّاس بأعينهم[2]، والآيةُ تعقيب على ما قَبْلَهَا، وتَعَجُّبٌ من الَّذين يُزَكُّون أَنْفُسَهُمْ، والله سُبْحانه يُزكِّي من يشاء بِعِلْمِهِ وعَدْلِهِ؛ واليهود أوَّل المقْصُودينَ بهذا التَّعَجُّبِ بدليل حالهم على مَرِّ الزَّمان، فَتَرْجَمَ هذا الفعلُ ﴿ٱنظُرْ﴾ تَعَجُّبًا إِثْرَ تَعَجُّبٍ على ما ارتكبوه، والمرادُ منه بيان شناعةِ تلك الحالِ وكَمَالِ فَظاعَتِها، والجملةُ تَعْجيبٌ وتَنْبيهٌ على أَنَّ ما ارتكبوه مُتَضَمِّنٌ لأمرين عظيمين مُوجِبَيْنِ لِلتَّعَجُّبِ: ادِّعائهم الاتِّصافَ بما هُمْ مُتَّصفون بِنَقيضِهِ، وافترائهم على الله سُبْحانه، فإنَّ ادِّعاءَهم الزَّكاةَ عنده تعالى مُتَضمِّنٌ لادِّعائهم قبولَ اللهِ وارتضاءَه إيَّاهم، تعالى عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا؛ ولِكَوْنِ هذا أشنعَ من الأوَّل جُرمًا وأعظمَ قُبْحًا؛ لما فيه من نِسْبَتِهِ ﷻ إلى ما يَسْتَحيلُ عليه بالكُلِّيَّةِ من قَبول الكُفْرِ وارتضائِه لعباده، ومغفرةِ كُفْرِ الكافرِ وسائرِ معاصيه، فوُجِّه النظرُ إلى كَيفيَّته؛ تَشْديدًا للتَّشْنيع، وتأكيدًا للتَّعجيب[3].

نكتة التعبير عن الافتراء بالمضارع:

استحقاق اليهود التَّهديد والوعيد هو لاستمرارهم على الافتراء

التَّصريحُ بالكذب - مع أنَّ الافتراءَ لا يكون إلَّا كَذِبًا - للمبالغةِ في تقبيح حالِهم[4].واستمرارهم عليه، والَّذي يَدُلُّ عليه التَّعبيرُ بالمضارع في قوله: ﴿يَفْتَرُونَ﴾، حيث أقام المضارع مُقامَ الماضي؛ إعلامًا أنَّهم

(1) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/102.
(2) ابْنُ عاشور، التَّحريرُ والتَّنْوير: 4/154.
(3) أبو السُّعود، إرْشادُ العَقْلِ السَّليم: 1/534، والآلوسّي، روحُ المعاني: 5/55.
(4) أبو السُّعود، إرْشادُ العَقْلِ السَّليم: 1/534، والآلوسّي، روحُ المعاني: 5/55.

مُسْتَمرُّون على ذلك[1]؛ لذا استحقُّوا التَّهديد والوعيد الَّذي تَضَمَّنَهُ تذييل الآية: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾؛ تَأْكيدًا على سُوءِ المَصِير.

دلالة الإخبار بتركيب ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾:

بلغ اليهودُ الغايةَ في الذَّمِّ لافترائهم واختلاقهم الكَذِبَ

قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ نهاية في بلوغه غاية الإثم، كما يُؤذِنُ بِهِ تَرْكيبُ: كَفى بِهِ كذا[2]، وهو خَبَرٌ، في مُضَمَّنِهِ تَعَجُّبٌ وتَعْجيبٌ من الأمر، ولذلك دَخَلَتِ الباء؛ لِتَدُلَّ على معنى الأمر بالتَّعجُّب، وأن يُكْتَفى لهم بهذا الكَذِبِ إِثْمًا، ولا يُطْلَبَ لهم غَيْرُهُ؛ إذ ليس وراءه، وهو موبق ومهلك[3].

وإنَّما يُقالُ: (كَفَى بِهِ) في التَّعظيم على جِهَةِ المَدْحِ أو على جهة الذَّمِّ، أَمَّا في المدح؛ فَكَقَوْلِهِ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾، وأمَّا في الذَّمِّ؛ فكما في هذا الموضع[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الافتراء والكذب:

الافتراء أخصُّ من الكَذِب؛ وهو أقْبَحُ الكَذِبِ وأَعْظَمُهُ

الكذب عَدَمُ مُطابقة الخبر للواقع[5]، والافتراء: افتعالٌ من الفَرْيِ، وهو أقبح الكَذِبِ وأعظمه، ويكون في القول والفعل، فيُقَال لمن عَمِلَ عملًا، فَبَالَغ فيه: إنَّه لَيَفْري الفَرْيَ، يَعْني: ليقطع الأَمر العَجيبَ[6]، قَال جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [المُمْتَحِنَة: 13]، وقوله: ﴿قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ [مريم: 27] قيل: معناه: عظيمًا، وقيل: عجيبًا، ووقع الافتراء في القرآن، والمُراد به: الكذب، نحو: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [المائدة: 103]، والشِّرْكُ، نحو: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا

(1) أَبو حَيَّان، البَحْرُ المُحيط: 3/682.
(2) ابْنُ عاشور، التَّحْريرُ والتَّنْوير: 4/154.
(3) ابْنُ عَطيَّة، المُحَرَّرُ الوَجيز: 2/66.
(4) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/103.
(5) العَسْكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 449.
(6) السجستانيّ، غَريبُ القُرْآن، ص: 103.

عَظِيمًا﴾، والشَّيء العَظيم، كما في الآية: ﴿قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧﴾ [مريم: 27]، وكُلُّ ذلك بِحَسَبِ المقامات الواردة في الكتاب[1].

فالافتراء: أخصُّ من الكذب من باب الأَقوال؛ لأنَّ الافتراء كذب في حقِّ الآخر بما لا يَرْتَضيه، بخلافِ الكَذِبِ؛ فإنَّه قد يَكُونُ في حقِّ المتكلِّم نَفْسِه؛ ولذا يُقَالُ لمن قال: فَعَلْتُ كَذا، ولم أفعل كذَا، مع عدم صدقه في ذلك: هو كَاذِبٌ، ولا يُقالُ: هو مُفْتَرٍ، وكذا من مَدَحَ أَحَدًا بما ليس فيه، يقال: إنَّهُ كاذب في وصفه، ولا يُقال: هو مفترٍ؛ لأنَّ ذلك ممَّا يرتضيه المقول فيه غالبًا. وقد ذكر الله قول الكفَّارِ: ﴿ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: 93]؛ لِزَعْمِهِمْ أنَّه أتاهم بما لا يرتضيه اللهُ سُبْحانَهُ مع نِسْبَتِهِ إلَيْهِ[2]؛ ومن هنا فالافتراء اختلاقٌ للكذب؛ لذا يُطْلِقُ الفُقهاءُ الفِرْيَةَ والافتراء على القَذْفِ: وهو رَمْيُ المُحْصَنِ بالزِّنى من غير دليلٍ، ومنه قيل: افترى فُلانٌ على فلان؛ إذا قَذَفَهُ بما ليس فيه، أو قذف أَبَوَيْهِ[3].

وأيضًا قد يَحْسُنُ الكذب في بعض الوُجوهِ: كالكذب في الحرب، وإصلاح ذات البَيْنِ، وعدَةِ الزَّوجة، كما وردت فيه الرِّوايات، بخلاف الافتراء[4].

(1) الرَّاغِب، المُفْرَدات، والسَّمين، عُمْدَةُ الحُفّاظ، والزَّبيديّ، تاجُ العَروس: (فرى).
(2) العَسْكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 450.
(3) الرّاغِب، المُفْرَدات، وابْنُ قُتَيْبَة، غَريبُ القُرْآن، ص: 31.
(4) العَسْكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 450.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»